«مرسيل خليفة» لأنه عاش وغنى بصدق فمن الصعوبة الكتابة عنه فى هذا الزمن ! لأن الحروف لم تعد معتادة على أن ترتدى معنى، والقلم أصبحت تدميه الحقيقة!

لكننا سنلوذ بالقلب ليحكى، وبالأذن لتتذكر، و«بمرسيل» نفسه الذى لم أجد ما أقوله له عبر الهاتف قبل أيام .. تركته يتكلم .. فقط يتكلم.. كلام كالغناء .. نفس النبرة والحماس والبساطة التى تجلل ألحانه .. وعاد صوته لينقذنى من ورطتى ووجدت الكثير لأكتبه عنه.. أنقذنى كما قال محمود درويش عنه:« لقد أنقذت أغانى مرسيل خليفة القلب رافعة إياه على أجنحة بعيدا عن الدمار».

كان مرسيل طوال الخمس والعشرين سنة الماضية – بالفعل– يقود كثيراً من الناس إلى الموت– أو مع الموت– بالغناء، فهو موسيقى الثورة بلا منازع .. موسيقى حقيقى لا يحتاج إلى منصة ليخطب كما لا يحتاج الخبز للإعلان عن نفسه إلى الجائعين كما يقول درويش !

غنى للجنوب اللبنانى وكان يقول إن غناءه للجنوب يجعله يشعر بأن فلسطين قريبة إلى هذا الحد. وهو يطل على هذا الفردوس الموعود من بوابة الجنوب المحرر.

خلال الاحتلال الإسرائيلى للجنوب اللبنانى منع الإسرائيليون أغانيه وصادروها لأنهم يعرفون إنها ثورة .. ولأنهم – بالطبع–